ابو الحسن علي الحسني الندوي

# نظرة مؤمن واع إلى المدنيات المعاصرة الزائفة

الناشر :
دار عرفات ( للنشر والترجمة والتوزيع )
دارة الشيخ علم الله الحسنى رائى بريلى ( الهند )

ابو الحسن علي الحسني الندوي

# نظرة مؤمن واعٍ إلى المدنيّات المعاصرة الزائفة

الناشر :
دار عرفات ( للنشر والترجمة والتوزيع )
دارة الشيخ علم الله الحسني رائ بريلي ( الهند )

بسم الله الرحمن الرحيم

« و لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه و رزق ربك خير و أبقى »

( قرآن كريم )

مطبعة ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

# هذه المحاضرة

[ هذه المحاضرة ألقاها سماحة الشيخ أبو الحسن على الحسنى النـدوى فى ٣/محرم الحرام ١٣٩٧ﻫ (٢٣/ ١٢/ ١٩٧٦م) فى الديوان الأميرى، بمدينة أبو ظبى مركز الامارات العربيـة المتحدة فى الخليج العربى، التى زارهـا على دعوة من سمـاحة الشيخ أحمـد عبد العزيز آل مبارك رئيس القضا الشرعى، و قد حضر الاجتماع عدد كبير من الوجهـاء المثقفين والأساتذة والمربين وقدم المحاضرالمؤتر إلى الحفل الـكريم فضيلة الشيخ أحمد إسماعيل البيلى قاضى المحكمة الشرعية، وأشادبجوانب شخصيته العديدة ومؤلفاته المتنوعة و كان للمحاضرة دوى فى جميع الأوساط.

و قد نقل هذه المحاضرة من الشريط الأستاذ محمد واضح رشيد الندوى أستاذ الأدب العربى فى دارالعلوم ندوة العلماء، وكان مرافقاً للشيخ الندوى و أجرى عليها المحاضر تعديلات و إضافات مفيدة ونقل النصوص التاريخية بألفاظها و أحال إلى المراجع، و صحح بعض الأخطاء التى وقعت فى الـكلمة التى ارتجلها.

و ها هى بين يدى القراء منقحة مزيدة]

( الناشر )

بسم الله الرحمن الرحيم

قال بعد ما حمد الله تعالى و أثنى عليه بما هو أهله .
و صلى و سلم على نبيه ﷺ :

سادتى و إخوانى ! قصة يرويها المؤرخون العرب ، نمر بها مراً سريعاً عابراً ، تستحق منا لفتة كريمة عميقة . و بها أفتتح حديثى هذا ، و لها اتصال وثيق بالموضوع ، و هى تدل على وضعية نظرة المؤمن الواعى إلى المدنيات المعاصرة الزائفة ، لعلكم أيضاً مررتم بهذه القصة فيما قرأتم من كتب تاريخ الفتوح الاسلامية . فى العصر الأول ، و لست أدرى هل استوقفتكم هذه القصة كما استوقفتنى ، وهل استلهمتم منها تلك المعانى الواسعة العميقة والنتائج الكبيرة الخطيرة التى استلهمتها . وقد تلفت قصة أو حديث قارئاً من عامة القراء ، و لا يلفت ذلك الحديث قراء آخرين ، وإن كانوا يفوقون القارىء الأول فى كثير من الفضائل العلمية و النبوغ و بعد النظر و العمق .

قصة رواها المؤرخون العرب ، على عادتهم فى بساطة و اختصار ، و من غير تعليق و استنتاج ، يقولون : إن « رستم » (١) قائد قواد الفرس طلب من سيدنا سعد بن أبي وقاص قائد جيوش المسلمين فى فارس أن يرسل إليه رجلا يستوضحه عن أغراض هذا الغزو الذى لم يكن للفرس به عهد ، و لم يكن للعرب به شأن ، إنما عرف العرب بالانطواء على نفوسهم فى باديتهم قروناً طويلة ، فكانت هذه مفاجأة لم يكن الفرس يتوقعونها ، و العرب قد عرفوا بالقناعة والتقشف فى الحياة ، و الانعزال عن العالم الخارجى فى عامة الأحوال .

---

(١) كان قائد الجيوش فى إيران و وزير الحربية فيها و كان من أبطال الفرس المعدودين الذين يضرب بهم المثل فى الشجاعة و الشدة ، و هو الذى سعى فى تنصيب الملك يزدجرد الثالث سنة ٦٣٢م ، و قلد مهمة دفع العرب المسلمين حين قدومهم لفتح فارس وقتل سنة ٦٣٥م (محرم ١٤ﻫ) فى يوم القادسية وكان من بيوتات السبعة التى تم شرفها ، و كانت قيمة قلنسوته مأة ألف وهى علامة من تم شرفه فى ذلك العهد . (ملخصاً من كتب التاريخ)

و عدم الطموح إلى فتح امبراطوريات جاورتهم ، فلما خرج العرب لأول مرة فى التاريخ الطويل يغزون فارس و الروم ، استلفت ذلك نظر المتأملين ، ونظر الذين واجهوا هذا الغزو وجهاً لوجه ، فأرسل سعد ، ربعى بن عامر (١) ، و كان « رستم » قد بالغ فى التزيين ، و بالأصح التهويل ، قد زين مجالسه بالنمارق المذهبة والزرابى الحريرية ، وأظهر اليواقيت و اللآلى الثمينة و الزينة العظيمة و عليه تاج و غير ذلك من الأمتعة الثمينة ، و قد جلس على سرير من ذهب (٢) . جاء ربعى بن عامر لا يكترث بشئ ، ولا يحتفل بهذه الزينة العظيمة ، التى لم يعهدها ، فجلس بجنب « رستم » كأنه جالس بجوار رجل من زملائه ، فقال « رستم » : ما جاء بكم ؟

---

(١) كان من الصحابة كما صرح به الحافظ ابن حجر فى كتابه «الاصابة فى تمييز الصحابة » و كان من أشراف العرب ، ولاه الاحنف على « طخارستان »

راجع « الاصابة فى تميز الصحابة » ج ١ ، ص ٥٠٣ .

(٢) راجع « البداية والنهاية » لابن كثير ج ٧ ص ٣٩ ، طبع بيروت ١٩٦٦م .

فقال : « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، و من ضيق الدنيـــا إلى سعتها ، و من جور الأديان إلى عدل الاسلام ، فأرسلنـا بدينـــه إلى خلقه لنـــدعوهم إليه » (١) .

أيها الاخوة ! إننى لا أريد أن أتناول هـــذه الأجزاء الثلاثة التى جاءت فى هذه الكلمة البسيطة البليغة كلهـا شرحاً و إيضاحاً ، ولـكننى أتناول شيئاً واحداً ، وهو قول ذلك المؤمن الواعى يخاطب « رستم » و هو فى غاية أبهته ، وفى زهوه ، و على قمة مجده ، يقول له : « من ضيق الدنيا إلى سعتها » إننى لا أستغرب قوله : « لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله » و لا من قوله : « من جور الأديان إلى عدل الاسلام » فقد كان كل ذلك حقيقة بديهية للمسلمين الذين غرس رسول الله ﷺ عقيـــدة التوحيد فى نفوسهم ،

---

(١) « البداية و النهـاية» لابن كثير ج ٧ ، ص ٣٩ طبع بيروت ١٩٦٦ .

و حبب الله إليهم الايمان و زينه فى قلوبهم ، و كره إليهم الكفر و الفسوق و العصيان ، ينظرون إلى جميع أنواع الشرك و الوثنية و عبادة الانسان للانسان ، بعين الازدراء والاحتقار ، وكانوا يعافونها ، وكانت أذواقهم تمجها وتأباها ، و كان ربعى بن عامر يعرف أن ملوك فارس و أمراءها قد استعبدوا الناس ، و كانوا يعاملونهم معاملة الآلهة للعباد ، لا معاملة السادة للعبيد ، و كان الناس يكفرون (١) لهم و يسجدون ، و يرون أنهم فوق البشر ، يجرى فى عروقهم دم إلهى مقدس ( ٢ ) ، و كانوا يؤمنون بأن الاسلام هو الشريعة العادلة ، و أن غيره من الأديان قد أصبحت جائرة تستعبد الانسان للانسان ، و تسخره للأحبار و الرهبان ، و تقيده بأغلال وقيود وأحكام ما أنزل الله بها من سلطان ،

(١) كفر الرجل للرجل : خضع بأن يضع يده على صدره ، ويطأطئ رأسه و يتطأمن تعظيماً له .

(٢) راجع للتفصيل كتاب « إيران فى عهد الساسانيين » لآرتهر كرستن سين .

و قد قرأوا قوله تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمى الذى يجدونه مكتوباً عنــدهم فى التوراة و الانجيل يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، و يضع عنهم إصرهم و الأغلال التى كانت عليهم » (١) . و قرأوا قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل و يصدونـــ عن سبيل الله » ( ٢ ) . و قد آمنوا بذلك وشاهدوا آثارها فى الأمم والديانات التى عرفوها، كنصارى الروم ، و مجوس فارس ، و يهود المدينة .

ولو قال ربعى بن عامر « لنخرج من شاء من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة » لم أستغرب ذلك ، لأنه آمن بالآخرة التى لا آخر لها ، و بالجنة التى لا حد لهـــا و لا نهاية ،

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

(٢) سورة التوبة الآية ٣٤ .

و قد قرأ فى الكتاب الذى قرأه و آمن به و عاش فيه « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم و جنة عرضها السماوات و الأرض ، أعدت للمتقين » (١) ، و يقول رسول الله ﷺ فى غزوة بدر : « قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض » (٢) ، وقال : « موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا و ما فيها » (٣) .

ولكننى استغرب قوله : « من ضيق الدنيا إلى سعتها ، هنا أتساءل : ما هو الضيق الذى كان فيه الفرس ، وما هى السعة التى كان فيها العرب ؟ حتى ساغ لربعى بن عامر رضى الله عنه ، أن يقول : إنا معشر العرب المسلمين نريد أن نخرجكم أيها الفرس الأشقياء المنكوبون ! من ضيق الدنيا إلى

(١) آل عمران الآية ١٣٣ .
(٢) رواه مسلم .
(٣) حديث متفق عليه رواه أبو هريرة رضى الله عنه .

سعتها . هل كان ما كان فيه العرب يستحق أن يسمى السعة ، و هل كان ما كان فيه الفرس يستحق أن يسمى الضيق ؟ و نسأل التاريخ عن ذلك ، و هو شاهد عدل ، و تاريخ العرب و تاريخ الروم و الفرس مسجل مدون ، لا يتطرق إليه الشك ، قد جاء برواية الرواة العادلين الموثوق بهم ، و تضافرت الروايات و الشهادات على ذلك ، فاذا كان العرب يعيشون فى بحبوحة من العيش ، لم يكن ذلك مجهولا أغفله التاريخ ، و إذا كان الفرس يعيشون فى ضيق لم يكن ذلك خافياً .

و قد قرر التاريخ و أجمع المؤرخون على أن الفرس و الروم كانوا يعيشون فى رغد من العيش ، و يتقلبون فى أعطاف النعيم ، قد اتسعت لهم الدنيا ، ولانت لهم الحياة ، أما العرب فبالعكس كانوا يعيشون - حتى بعد الاسلام - فى شظف ، و كان العهد عهد خلافة عمر ، و كان الناس على

الفطرة — العربية الاسلامية — و كانت المدنية لم تتعقد و لم تتوسع بعد ، و كان عمر — و هو خليفة المسلمين — يعيش حياة متقشفة زاهدة ، ويأخذ الناس بالتقشف والتخشن فى الحياة ، وكانت هذه الحياة التى يحياها العرب فى الجزيرة ، حياة بداوة و تخلف فى نظر الفرس و الروم ، و كانوا يتأسفون على حالهم ، ويرون أنهم فى جهد من العيش وضيق من الدنيا .

فهنا نتساءل : ما هو الضيق الذى كان فيه الفرس ، حتى رثى له ذلك المسلم العربى ، و ما كانت السعة التى كان فيها العرب ، حتى افتخر بها ذلك الصحابى ؟ هل هو ضرب من ضروب المبالغات الشعرية ؟ إن العرب لم يتعودوا ذلك ، إن الاسلام لم يبح لأى واحد من أفراد الأمة المسلمة أن يتبجح (١) ، ويبالغ هذه المبالغة الشعرية ، إنهم كانوا بعيدين

(١) يتبجح : يفتخر ويتعظم و يتباهى .

كل البعد عن المبالغات و القول الجزاف ، كانوا أصحاب جد و صدق ، أصحاب صراحة و شجاعة ، فما هو الضيق إنه كان إذا دخل هـــذا المجلس بل إذا دخل فى حدود المملكة الفارسية العظيمة ، كان جديراً كل الجدارة بأن يسيل لعابه ، و يتحلب فمه على هذه الزخارف التى كان يتمتع بها الفرس ، وعلى هذه الأنواع من الأطعمة والأشربة ، إنه لا بد قـــد شاهد الكثير من نفائس الأشياء و غوالى الطرف ، ومظاهر الحضارة و الأناقة والترف ، إنه واجه هذه المدنية الزاهية الزاهرة . التى بلغت قمتها و مجـــدها ، فقد و سعها الفرس بذكائهم و اختراعهم ، و بتجاربهم الطويلة الأمد ، وبمغانمهم الكثيرة و فتوحهم الواسعة ، و كانت فيها مدن بقصورها الفاخرة ، و مبانيها العظيمة ، و حدائقها الغناء ، ومنتزهاتها الساحرة . وأسواقها الزاخرة ، و طرفها ووارداتها العظيمة ، فمن أى نوع كان هؤلاء العرب الذين تمردوا وقسوا عـــلى

هذه المظاهر الفتانة ، المظاهر التى يجن بها الانسان جنوناً ؟!

إنه لا ينقضى عجبى من قوله : « إن الله ابتعثنا ( أيها الفرس ) لنخرجكم من ضيق الدنيا إلى سعتها » لماذا ؟ لأنه كان ينظر إلى هؤلاء الملوك و الأمراء ، كما ينظر العاقل إلى دمى قد كسيت ملابس فاخرة جميلة ، إلى تماثيل قد أحكمت صناعتها . و تأنق صانعوها فى تصوير قسماتها و ملامحها . و لكنها على كل حال تماثيل من حجر ، أو جبس ، لا حياة فيها ولا حراك بها ، كان ربعى بن عامر ـ وهو أحد أفراد الجيش الاسلامى ـ ينظر إلى « رستم » كطائر مدلل فى قفص من ذهب ، و كان كسرى يزدجرد ـ الذى لم يره بعد ـ كذلك كعندليب و كطاؤس أو كأى أجمل طائر ، لكنه على كل حال ، طائر محبوس ، هذا الطائر يوضع فى قفص ، و القفص من ذهب ، أسلاكه كلها من ذهب ، و الاناء الذى يأكل و يشرب فيه الطائر ، من ذهب كذلك ، و لكن هل

يحسد هذا الطائر أى إنسان عرف قيمة الحياة . و عرف قيمة الحرية و الشعور ، و عرف قيمة العقل . وعرف قيمة العلم ؟ هل يحسد هذا الانسان الذى أكرمه الله بالانسانية ، يحسد هذا الطائر المدلل ، لأنه فى قفص من ذهب ، و هو فى بيت من مدر أو وبر ، بل نخطو خطوة أخرى ، هل نحسد كلباً مدللا ، كلباً يربيه صاحبه الأوربى ، و يغذيه بأطايب الطعام و لذيذ الفاكهة ، و يسقيه اللبن ، و يقلده قلادة ذهبية ، و ينيمه على فراش وثير ناعم ؟!

إن نظرة ربعى بن عامر لم تكن تختلف عن نظرتنا إلى طائر مدلل فى قفص ذهبى ، أو إلى كلب مدلل عند سيد أوربى ، و ذلك كله لأنه كان كبير الاعتزاز بالعقيدة التى آمن بها ، و بالدعوة التى حملها ، و بالشخصية التى ملكها ، و بالرسالة التى اضطلع بها ، و بالقرآن الذى درسه و شغف به ، و أحبه ، إنه كان معتزاً بالمعانى و بالقيم وبالحقائق التى

هى أسمى من تلك الزخارف والمظاهر ، فلم تبهره هذه المدنية ، و لم تسحره مفاتنها ، إنه كان يعرف أن « رستم » و لو كان قائد قواد الفرس ، يعبد النار ، ثم إنه يعبد نفسه ، كما أنه يعبد سيده ، و يعبد عاداته .

وليست القضية قضية « رستم » أوقضية قائد من القواد ، أو أمير من أمراء الفرس ، بل هذا هو الشأن مع سيدهم جميعاً ، مع الامبراطور يزدجر ، إنه كان يعرف أنه عبد لعاداته ، أو عبد لعبيده ، لا يستطيع أن يتحرك إلا بهم ، و لا يستطيع أن يصول و يجول إلا على أكتافهم ؛ إنه ليس إنساناً حراً ، بأى معنى من معانى الكلمة ، بل هو إنسان استعبدته الشهوات ، و استعبدته العادات ، و استعبدته الأعراف ، و استعبدته المظاهر ، و استعبدته النفس الأمارة بالسوء ، و استعبدته اللذات الجسدية الخسيسة ، و المطالب الحيوانية الحقيرة .

أتتم تعرفون أن الامبراطور « يزدجرد » هو ثانى الامبراطورين العظيمين اللذين توزعا العالم المتمدن المعمور : كسرى إيران ، و قيصر الروم ، و قد انتهت بى دراستى الحديثة للتاريخ المعاصر للفتح الاسلامى ، إلى أن إمبراطورية الفرس كانت تفوق الامبراطورية البازنطينية ، كانت أوسع منها ، و كانت ولايات من الهند تحت حكم الايرانيين . منها ولايات موغلة فى الهند ، و لكن هذا الامبراطور العظيم ، قد روى عنه التاريخ أنه لما هرب من عاصمته « المدائن » ناجياً بنفسه ، و كان فى حالة اللجوء والفرار ، حمل معه ألف طاه ( طباخ ) هل تصدقون ألف طباخ ، و ألف مغن ، وألف قيم للصقور والنمور ثم كان يقول : ياويل نفسى إنى لم آخذ معى إلا هذا العدد القليل من الأعوان و من الخدم و الحشم ، كان يقول أنا أستحق الرحمة و الرثاء ، فهل يعد هذا الرجل رجلا حراً سعيداً ، صاحب شخصية ، و صاحب

إرادة ، ثم إنه لما لجأ إلى عجوز فقيرة ، و قدمت له الطعام و هى ترثى له ، و قد توسمت فيه الملك والشرف ، قال : لا أستطيع أن استسيغ هذا الطعام حتى يغنى لى (١) .

إلى هذه النقطة وصلت عبوديتهم ، و وصل رقهم ، و وصل خضوعهم للعادات القاهرة ، إنه لم يكن يستطيع أن يتناول طعاماً وهو فى حاجة إلى الطعام ، حتى يغنى له المغنون أما من غير أغنية ، فهو غير قادر على أن يتناول الطعام .

و نذكر أن « الهرمزان » ـ ملك الأهواز . و أحد كبار أمراء الفرس ـ لما أسر ، و جاء إلى سيدنا عمر رضى الله عنه فى المدينة ، و كان ـ رضى الله عنه ـ نائماً فى المسجد متوسداً برنسه ، فاستيقظ بالجلبة ، و دار الحوار بينه و بين عمر ـ رضى الله عنه ـ وشعر « الهرمزان » بالعطش فطلب

---

(١) راجع للتفاصيل « إيران فى عهد الساسانيين » لآرثر كرستنسين ، وكتاب المؤلف « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » الفصل الثانى من الباب الأول

الماء ، فأتى به فى قدح غليظ ، فقال : لو مت عطشاً لم أستطع أن أشرب فى مثل هذا ، فأتى به فى إنا يرضاه ، فشرب (١) .

و نبه أمير المؤمنين أصحابه على ذلك ، و حثهم على الحمد لله تبارك وتعالى ، والشكر على نعمة الاسلام ، الاسلام الذى حررهم من هذه العبوديات ، و من هذه الأصنام التى ينحتها الانسان بنفسه ، ثم يفرضها على نفسه ، ويقول إبراهيم عليه السلام : « أتعبدون ما تنحتون » وهذه عادات وأعراف إنما نضعها نحن و نتفق عليها ، إنه لا يعتبر الانسان شريفاً إلا إذا سكن فى كذا من البيوت ، و لبس كذا من اللباس و ظهر فى المظهر الفلانى ، و كان له من الأثاث و الرياش كذا و كذا ، و إن الفرس فى العصر الذى نتحدث عنه ، كانوا يعيرون الرجل الكبير الذى لا تبلغ قيمـة قلنسوته مأة ألف ، ومن بلغ نصف الشرف ، كانت قيمة قلنسوته خمسين

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٢١٧ ، و فتوح البلدان / ٣٧٤ .

ألفاً ، و كانت منطقة كبرائهم تقوم بخمسين ألفاً (١) .

و هذه الأعراف والمثل كلها من مخترعات الناس التى « ما أنزل الله بها من سلطان » أليست هذه المدنية الأوربية مجموعة من الأعراف المصطنعة ، والقيود المزورة ، والمصطلحات الموضوعة ، و الالتزامات التى التزمها الأوربيون ومن قلدهم ، ما هو مصدرها ، و من أين جاءت هذه الالتزامات التى التزمناها ؟ و قد خضعنا لتاثير هذه الحضارة و ابتعدنا عن الطبيعة و التقشف الذى عرف به العرب ، و حث عليه المربون للأمة الاسلامية ، كعمر بن الخطاب رضى الله عنه (٢) .

---

(١) راجع تاريخ الطبرى ٤ / ٦ – ١١ – ١٣٤ .

(٢) فقد كتب إلى بعض عماله العرب وهم فى بلاد العجم: « إياكم والتنعم وزى العجم، وعليكم بالشمس، فانها حمام العرب ، وتمعددوا (يعنى تشبهوا بعيش معد بن عدنان، وكان ذا غلظ وتقشف) واخشوشنوا (أى تخشنوا فى المطعم و الملبس )... الخ » رواه البغوى عن عثمان النهدى .

و كان ربعى بن عامر بنظره البعيد ، و بإيمانه القوى و علمه العميق ، و إن كان قصير النظر فى عين كثير من الذين يدعون العلم و المدنية ، ينظر إلى هذه الالتزامات التى التزمها الفرس كقيود وأغلال . و أطواق و أصفاد ، وهو لا يعرف منها إلا قليلا ، و لكن الذى عرفه كان كثيراً ، و كان كافياً للشهادة ، و بذلك استطاع أن يقول : « الله ابتعثنا لنخرجكم من ضيق الدنيا إلى سعتها » أيها الفرس لا تغرنكم أنفسكم ، ولا تخدعنكم هذه البهرجة ، لا تخدعنكم هذه المظاهر الجوفاء ، أنتم تعيشون فى قفص ، و القفص قفص ، وإن كان من ذهب ، القفص قفص ، وإن كان من زجاج ، القفص قفص و إن كان واسعاً سعة المدينة ، ولكنه قفص ، ما هو السجن ، لماذا يسمى سجناً ؟ ألا يكون واسعاً ، ألا تكون فيه الغرف ، الغرف التى قد لا يوجد مثلها فى بيوت كثير من أوساط الناس ، لكنه سجن على كل حال ، و ليس

منا من يريد أن يعيش فى السجن ، مهما توفرت فيه أسباب الراحة و الرفاهية ، و مهما اتسع و انفسح . و كانت فيه حدائق و برك ، ومتاحف و منتزهات .

إن هذا العربى المسلم الواعى الذى كان بعيداً عن كل ظل من ظلال ما نسميه اليوم بـ « مركب النقص » و من كل شبح من أشباح الانهزامية و فقدان الثقة ، لو عاش إلى هذا العصر ، لنظر إلى المدنية الغربيـــة ، و المدنيـة الباذخة التى يعيشها العرب ، و المسلمون فى كثير من بلادهم ، لنظر إليها بنفس النظرة التى نظر بها إلى المدنية الايرانية ، والمدنية الرومانية ، ولرثى لأهلها كما رثى للفرس و الروم . وتمنى أن يخرجهم من ضيق الدنيا إلى سعتها ، كما تمنى ذلك للفرس و الروم .

كان هذا العربى يتنعم بالحرية التى عرفه بها الاسلام ، فنقله من دنيا ضيقة محدودة خانقة : دنيا المعدة و المادة ،

و دنيا الشهوات و الأغراض ، و دنيا العبودية والاستعباد ، دنيا الحياة الفانيـــة الزائلة المكدرة بالهموم و الأمراض ، و الأحزان و الآلام ، إلى دنيا واسعة غير محدودة ، إلى دنيا اليقين و الايمان ، إلى دنيا القلب و الروح ، والايثار و المواساة ، و العدل و المساواة ، و العطف و الرحمة ، و الطيب و الصفاء ، و الخلود و البقاء ، دنيا لا كدر فيها و لا فساد ، و لا خوف فيها و لا حزن ، إنه كان يتمتع بهذا النعيم الذى حرمه الفرس و الرومان فى وقت واحد ، فكان ينظر إلى مدنية الفرس و الروم و حياتهم كقفص ضيق يختنق فيه الانسان الحر الكريم ، المؤمن الواعى ، كما تختنق السمكة إذا أخرجت من الماء ، و وضعت على فراش وثير ناعم أو فى علبة ذهبية مزخرفة .

هذه نظرة أعرابى مسلم ، فكيف نظرتنا نحن أيها الاخوان المثقفون ، أيها المعلمون الكبار ، يا أساتذة الجامعات

يا موجهى التربيـة و التعليم ، يا حملة الأقلام ، يا سائحون فى أوربا ! كيف نظرتنا إلى المدنية المعـاصرة الزائفة ، هل هناك نسبة بين نظرة ذلك الأعرابى الذى لاثقافة له ، والذى لم يعرف العالم مثلما عرفنا ، و لم يدرس التاريخ مثلما درسنا ، و لم يعرف تجارب الأمم مثلما عرفنا ، و لم يقرأ الفلسفات و لم يتعمق فيها كما تعمقنا ، هذه نظرة رجل من العرب ملأه رسول الله ﷺ ، و ملأه الاسلام ثقة واعتزازاً ، وإيماناً و شجاعة ، و احتقاراً للدنيا و معرفـة للحقيقة ، كان يستطيع أن يقول لأكبر قائد فى العالم المعاصر « رستم » ، الذى كان اسمه يخلع القلوب ، و كان بعـد كسرى ، و فوق كل قائد و أمير فى فارس ، كان يستطيع أن يقول له و بصوت ملؤه التحكم و التهكم : أنا أرثى لك يا رستم ، أنت فى الشقاء ، أنت فى ضيق من الدنيا ، ونحن العرب المسلمين الذين أبدانهم نصف عارية ، و الذين أجفان سيوفهم بالية وثيابهم مرقعة ،

ونعالهم مخصوفة ، نحن نعيش فى الجنة وأنت تعيش فى جهنم.

ما الذى حمله على هذا القول ، القول الجريئ القوى ، الكلمة المدوية المجلجلة ؟ إنما هو إيمـانه و ثقته بشخصيته ، و بفضل رسالته و التعاليم التى أكرمه الله بها ، فكم منا أيها الاخوان ! قولوا لى بصراحة ، كم منـا فى جامعـاتنا ، و فى مكاتبنا ، و فى مكتباتنا ، و كم منا فى أدبنا ، و فى شعرنا ، وصحافتنا ، من يستطيع أن يخاطب أوربيآ أو أمريكيآ ، يعيش على فتات مائدتنا ، نحن الذين يغذونهم ، فلولا هـذا النفط الذى يفيض من جزيرتكم ، لما كان لأمريكا ، و لما كان لأوربا هذه الصولة ، الأوربى الذى أفلس فى إيمانه ، و فى خلقه ، و فى شخصيته ، و هو الآن مصاب بالجذام الخلقى ، و بذلك دخلت حضارته فى دور التفسخ و التعفن ، و هو لا يعرف لها علاجآ و لا يملك لها زمامآ ، تاجر مرتزق ، متأثر مستغل ، تنكر للسيحية قبل مدة طويلة ، فانقطع آخر

خيط كان يربطه بالسماء و بالنبوات و الأخلاق ، بل بالعكس ننظر إليه نظرة تمجيد و إجلال . نظرة تقديس و تأليه ، و نحتقر نفوسنا و حضارتنا و مثلنا و ديننا ، أمام حضارته و مثله ، و نذوب أمامه كما يذوب الندى أمام الشمس ، و الشمع أمام وهج النار ، ذاك العربي المسلم الذى عرف قيمته و قيمة رسالته ، يقول لرستم « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من ضيق الدنيا إلى سعتها » و الله إن هذه الكلمة لو وضعت على الجبال لزالت ، ولو وضعت على البحر لتبخر ، فكيف بالقلوب ، كيف بالنفوس ، كيف بالضمائر ، هذه النظرة التى كان ينظر بها المؤمن الواعى فى عصر الدعوة الاسلامية الأول ، إلى المدنيات المعاصرة الزائفة ، و هذه النظرة التى يجب أن ينظر بها المؤمن الواعى اليوم إلى المدنية المعاصرة الزائفة ، هذا الذى أريد أن أقوله اليوم و أتركه أمانة لكم فى هذه المدينة الجميلة الزاهية ، العاصمة التى قفزت

من الصحراء كزهرة جميلة ، فوصلت إلى هـذه القمة من المدنية ، أريد أن أقوله هنا ، وأرسله إلى أقصى ما أستطيع أن أرسله إليه .

يجب أن ينظر العـــرب ، يجب أن ينظر المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ، بهذه النظرة الواعية ، بهذه النظرة المؤمنة المملوءة بالاعتزاز ، إلى المدنية الزائفة المعـاصرة التى تحيط بنا . لسنا متطفلين ، لسنا أدعياء (١) ، لسنا من الذين لفظتهم الأرض ، ما لنا نسب ، ما لنا أصالة ، ما لنا تراث ، ما لنا حضارة ، ما لنا تاريخ ، ما لنا أجداد و لا أمجـاد ، لا ، لا ، أيها السادة ! إننا أغنياء ، إننا معلمون للعالم ، إننا موجهون للأمم ، لـكن ما هو الواقع المرير الأليم ، الواقع أننا مسيرون لا مخيرون . أننا موجهون - بفتح الجيم - لا موجهون - بكسر الجيم - إننا تلاميذ لا أساتذة ، إننـا

(١) أدعياء : جمع دعى وهو المتهم فى نسبه، والذى يدعى غير أبيه أوغير قومه .

متطفلون ، لسنا أصحاب موائد . وأصحاب كرم ، لسنا أصحاب شخصية .

وجزى الله المؤرخين العرب المسلمين الذين حفظوا هذه الكلمة الخالدة التى تلقى الأضواء على شخصية العرب الأولين الذين أكرمهم الله تعالى بالرسالة الاسلامية الخالدة ، و التى كانوا معتزين بها كل الاعتزاز ، مكتفين بها كل الاكتفاء ، و كانوا يعتبرونها أفضل من كل شئ ، و كانوا يرون أن الشئ الذى لا ينبع من هذا المصدر ، و لا يرجع إلى هذا الأصل ، إنه شئ لاقرار له ، و إنه شئ لا قيمة له .

هكذا يجب أن يكون موقفنا إزاء المدنيات ، إزاء التحديات الجديدة التى تتحدانا بها هذه المدنية ، وهذه الفلسفات المعاصرة ، ليكن موقفنا موقف عملاق معتد بكرامته ، معتز بشخصيته و رسالته ، مستخدم لعقله ومواهبه ، حر فى رفضه وقبوله ، مقتبس منها ما ينفعه و لا يضره ، ويطابق أهدافه

و مثله و لا ينافيها ، و يضفى عليه قوة جديدة ، ولا يوهن هيكله و ينخره ، لا موقف قزم نقد الثقة و خسر الايمان ، وتضاءل وانضوى أمام كل شبح من أشباح القوة والسلطان ، و أحب الحياة و أشفق من الموت ، و بعد عن ميدان المغامرة و الطموح ، و الأصالة و الابتكار ، و الامامة والقيادة ، فهو ينظر إلى المدنية المعاصرة الزائفة كما ينظر طفل صغير واقف فى سفح جبل ، إلى قلته ، يتمنى لو ارتقى إليها .

و أختم حديثى هذا بمقطوعة شعرية لشاعر الاسلام الدكتور محمد إقبال ، خاطب فيها الشباب المسلم المثقف ، الذى سحرته المدنية الغربية ، فجهل شخصيته ، و جهل أبعادها ، و أعماقها ، و مضمراتها و مكنوناتها ، فعشق المادة ، وعاش فى خوف من الموت ، يقول :

« عجباً لك أيها المسلم ! تجلت لك الآفاق ، و غابت عنك نفسك ، إلى متى تظل غافلا جاهلا ، و تجلس ضائعاً

عاطلا ، إنك نور قديم ، فأنر به الليل البهيم ، فى كمك اليد البيضاء ، فاعمل بها عمل الكليم (١) ، تخط حـــدود الآفاق الضيقة ، فأنت السابق لها ، و الفـائق عليها ، فقد كـنت و لم تكن ، و ستكون و لا تكون ، هل تخاف الموت أيهـا الانسان الحى الخالد ؟ لقد كان جديراً بالموت أن يخافك ، فأنت تكمن له وترصد به ، اعلم يقيناً ، أن الكريم إذا وهب شيئاً لا يسلبه ، ولا يسترده ، و ليس حتف ابن آدم فى فراق الروح ، إنما حتفه فى ضعف الايمان والحرمان من اليقين » (٢)



(١) يعنى بها موسى الكليم .

(٢) « روائع إقبال » ص ٩٨ تعديل يسير .

# الرائد

عربية إسلامية نصف شهرية

يصدرها النادى العربى بدار العلوم ندوة العلماء

- رئيس المجلس : محمد الرابع الحسنى الندوى
- نائب الرئيس : سعيد الأعظمى الندوى
- رئيس التحرير : واضح رشيد الندوى

## الاشتراكات السنوية

- ٢٢ روبية للهند
- وجنيهان ونصف جنيه استرليني للخارج بالبريد السطحى
- خمسة جنيهات بالبريد الجوى

## العنوان :

إدارة الرائد ، النصف الشهرية

دار العلوم ندوة العلماء ص. ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)

# البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

★ رئيس التحرير : محمــد الحسنى

★ مدير التحرير : سعيد الأعظمى


## المراسلات


العنوان : «البعث الاسلامى» ندوة العلماء لكهنؤ ( الهند ) ص ب ٩٣

برقياً : NADWA Lucknow ، الهاتف : ٩٢١٧٤ - ٢٢٩٤٨


## الاشتراكات السنوية


⊛ فى الهند : ٢٥ روبية ، ثمن النسخة : روبيتان و ٥٠ بيسة

⊛ فى العالم العربى : ٦ دولارات أمريكية أو ما يعادلها بالبريد العادى و ١٢ دولاراً بالبريد الجوى

⊛ فى أفريقيا الجنوبية و الشمالية و أمريكا و أوربا :

١٥ دولاراً بالبريد الجوى — ٦ دولارات بالبريد العادى .

⊛ فى باكستان : ٥٠ روبية بالبريد العادى مع أجرة البريد .

الاشتراكات فى باكستان ترسل إلى مجلة « البلاغ » كراجى رقم ١٤ - باكستان .

## رسائل و محاضرات للمؤلف

١ــ منهج أفضل للدعاة والعلماء .

٢ــ خليج بين الاسلام و المسلمين .

٣ــ ردة و لا أبا بكر لها .

٤ــ عاصفة يواجهها العالم الاسلامى و العربى .

٥ــ نحن الآن فى المغرب .

٦ــ تعالوا نحاسب نفوسنا و قادتنا .

٧ــ نظامان إلهيان للغلبة و الانتصار .

٨ــ مؤاساة أم مساواة ؟

٩ــ بين الصورة و الحقيقة .

١٠ــ إسمعى يا مصر .

١١ــ الفتح للعرب المسلمين .

١٢ــ إسمعى يا إيران .

١٣ــ كارثة العالم العربى .